

السياقات الدفاعية للطفل العدواني في مرحلة ما قبل المدرسة

فوزية أوترباح/بن ستي دليلة/ سامعي حدادي

جامعة الجزائر 2

ملخص:

إذا كانت العدوانية مؤشرا نعتمد عليه في التشخيص السيكيوباتولوجي، فقد تساهم في وضع معالم لعيادة تغيرات السواء. يعرض هذا المقال معطيات امبريقية حول العدوانية خلالمرحلة ما قبل المدرسة التي قد تُدرك كظاهرة سلبية، وهي في الواقع تعبّر عن مؤشرات للنمو النفسي- الوجداني العادي. استُخْرِجَت هذه المعطياتمن دراسة عيادية لمجموعة من عشر أطفال بواسطة شبكة ملاحظة وترميز التفاعلات العدوانية لبيرونواختبار المشهد لفون ستابس. تبينالنتائج التداخل والتوافق الكبيرين بين الميكانيزمات الدفاعية و التظاهرات العدوانية لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة وكذا أهمية هذه الأخيرة في جعل الطفل يصل إلى المواضيع الخارجية وإرصان الوضعية الاكثابيةبميكانيزمات ثانوية، تكيّفية.

الكلمات الدالة:السياقات الدفاعية، العدوانية، الطفل في مرحلة ما قبل

المدرسة، عيادة تغيرات السواء.

مقدمة:

في إطار القيام بهذه الدراسة ركزنا اهتمامنا حول "عيادة متغيراتالسواء"(روجي ميزاس، 2012) لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة وبالأخص حول ظاهرة العدوانية التي نجدها طاغية على حياة الأطفال في هذه الفترة العمرية. لقد اختلف العلماء والباحثون في تحديد سواء هذه الظاهرة فهناك من يعتبرها ظاهرة ايجابية تهدف إلى تأكيد نمو الطفل كعنصر منفصل عن أمّه وليست بالضرورة تدميرية)

ستور، 1969) وهناك من يعتبرها كنزوة أساسية سلبية هدفها الأساسي هو تفكيك الارتباط والتدمير (أنا فرويد، 1986). وهو مانجده أيضا جد شائع لدى المجتمع الجزائري الذي يضع لافتة عن كل طفل تطغى عليه بعض السلوكيات العدوانية بأنه عدواني وسيئ، يجدر عزله عن باقي مجموعات الأطفال من مثل سنه.

هذا الاختلاف والتباين دفعنا للقيام بدراسة حول عشر أطفال يتداولون على إحدى الروضات التي تنتمي إلى القطاع الخاص، ستة منهم ذكور والأربعة الباقيين إناث. ولقد تم اختيارهم حسب ثلاث معايير أولها السن فكان يتراوح عمرهم ما بين 3 إلى 6 سنوات، المعيار الثاني ارتبط بمرور وكثافة التظاهرات العدوانية ما يسمح لنا منفهم أكثر لهذه الظاهرة أما المعيار الثالث والأخير فهو أن يكون هؤلاء الأطفال لا يعانون من أي اضطرابات جسمية. أو نفسية خطيرة ظاهرة أي "عاديين". فحاولنا اختصار كل ماسبق في التساؤل التالي: ما هي السياقات الدفاعية التي قد تقتربنوع من الأنواع المختلفة للعدوانية؟ واعتبرنا السياقات الدفاعية كمفتاح للإجابة عن تساؤلنا وذلك من خلال تحديد نوعيتها وبالتالي تحديد ايجابية أو سلبية هذه الظاهرة، كما لجأنا أيضا إلى شبكة ملاحظة وترميز التظاهرات العدوانية لبيرون (بيرون، 1980) من أجل معرفة نوعية السلوكيات العدوانية لدى الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة.

المنهجية:

للتأكد من الفرضيات السابقة لجأنا إلى تقنيتين تسمح لنا بالدراسة الميدانية وجمع الحقائق النفسية ومنها شبكة ملاحظة وترميز التفاعلات العدوانية لبيرون، تقوم هذه الشبكة بوصف وتنظيم الأنماط الرئيسية للتفاعلات العدوانية الملاحظة عند الطفل فهي تضم 66 نمط تفاعلي مشكّلة في مجملها سبع فئات من الأنواع البارزة للعدوانية التي تشمل كل من: الاعتداءات الجسمية، الاعتداءات اللفظية، الوشائية، السيادة، الرذية وأخيرا الاعتداءات الخيالية. بعد تسجيل الأنماط التفاعلية الملاحظة عند كل طفل نقوم برسم بياني يمثل وجمع التظاهرات العدوانية لكل واحد منهم وذلك خلال ستة أيام من الملاحظة، هذا الرسم البياني يسمح لنا بدراسة أولا نوع التظاهرات العدوانية وثانيا كثافتها وشدتها من حيث الكم لدى كلّ طفل. وفي الأخير طبقنا التقنية الثانية وهي اختبار المشهد الذي يعدّ من الاختبارات الإسقاطية التي تسمح لنا من استكشاف التوظيف النفسي بعد تحديد السياقات الدفاعية (بويكولت، 1993) وهو ما نطمح إلى دراسته، وقد سجلنا صورة رقمية للاختبار

كاملا لكل مبحوث ليتسنى لنا تحليل المشهد الذي قام به كل طفل ونشير أننا قمنا بإجراء ثلاث حصص من اختبار المشهد لكل مبحوث ولكننا في هذا المقال سنعرض نتائج حصة واحدة فقط نظرا للتشابه في النتائج المتحصل عليها في الحصص الثلاث.

النتائج:

من خلال الدراسة العيادية للحالات العشر وجدنا تشابه نسبي بين الحالات الأنثوية وكذا بين الحالات الذكورية إلا لدى مبحوث واحد ولهذا قررنا عرض النتائج المتحصل عليها لدى ثلاث أطفال ومن بينهم هذا المبحوث.

- المبحوث الأول: منير

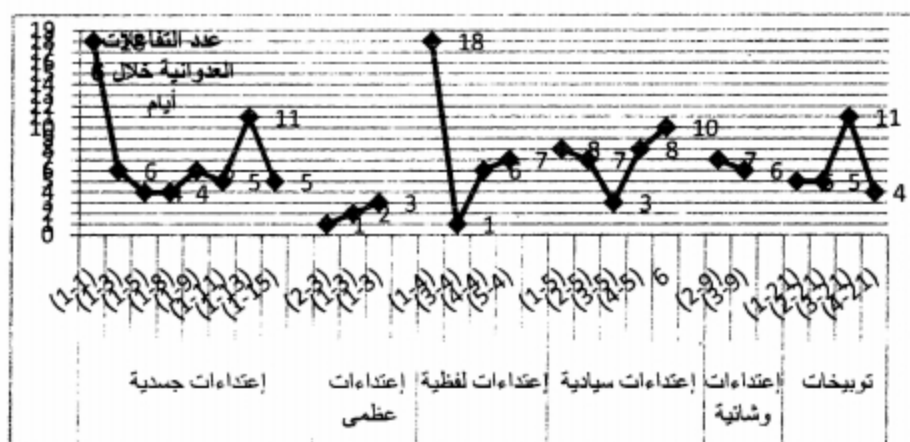
المعطيات المجموعة عن المبحوث الأول:

يبلغ منير من العمر 5 سنوات و شهر، لديه أخت أصغر منه. والدا هذا المبحوث لا يتجاوزان الأربعينات وهما في صحة جيدة. عرف منير نمو نفسي حركي عادي فقد اكتسب النظافة الليلية والنهارية في عمر يقارب الثلاث سنوات كما أنه لم يعرف أي تأخر في المشي ولا في الكلام وولادته كانت عادية. التحق هذا المبحوث بروضة أخرى قبل هذه الروضة التي أجرينا فيها دراستنا الحالية والتي تتواجد بالمنطقة التي كان يسكن فيها من قبل رحيل عائلته. كان منير من بين الأطفال المعروفين بعدوانيتهم خلال تفاعلاتهم مع الآخرين.

المعطيات المتحصل عليها من شبكة التفاعلات العدوانية لبيرون:

من خلال ملاحظة هذا المبحوث لمدة 6 أيام تمكنا من جمع تفاعلاته العدوانية الموضحة في الرسم البياني رقم 1. من المعطيات المتحصل عليها في الرسم البياني (أنظر في الصفحة الموالية) نلاحظ بروز لأنواع مختلفة من التفاعلات العدوانية في سلوك هذا المبحوث فكانت بدرجات مختلفة حيث لاحظنا تفوقا لاعتداءات السيادة التي شوهدت تقريبا خلال كل الأيام الست من الملاحظة على غير الأنواع الأخرى من العدوانية التي برزت أيضا بقوة ولكنها ظهرت بانقطاع، فكانت بهدف تأكيد سيادة هذا الطفل على زملائه سواء في وضعيات الخصام أو من أجل المنافسة في الدراسة.

بالإضافة للإعتداءات السابقة نجد كذلك الإعتداءات الجسدية التي ظهرت أيضا بقوة، أغلبها كانت بهدف اللعب والمزاح مع رفاقه إلا أنها كانت تؤدي في النهاية إلى صراعات حقيقية



الرسم البياني رقم 1:

التفاعلات العدوانية لدى المبحوث الأول خلال 6 أيام.

وأحيانا إلى أضرار جسدية حاول هذا الطفل من خلالها فرض سيادته على أقرانه فهي إذن تخدم الإعتداءات الأولى أي السيادة.

لاحظنا أيضا في تفاعلات هذا الطفل الإعتداءات اللفظية و يعود إرتفاعها النسبي إلى التفاعل (4- 1) أي الصراخ على الآخرين وكان أيضا بهدف معاملة من يصرخ عليه كشيء خامل ومحاولة السيطرة عليه وبالتالي هي أيضا مكملة للإعتداءات السيادية التي ميزت تفاعلات هذا المبحوث.

تحصلنا كذلك على نسبة ضئيلة نوعا ما من الإعتداءات العظمى وفي هذه الأخيرة لم يلجأ هذا المبحوث لا للتدمير ولا للسرقة المجسدة وإنما كانت بهدف إسترجاع شيء ما يخصه أي يملكه.

بالنسبة للتوبيخات فقد وجدناها أيضا مرتفعة وذلك نظرا لارتفاع الإعتداءات بمختلف أنواعها فهي إذن تعود لكثرة الإعتداءات لدى هذا المبحوث.

المعطيات المتحصل عليها من اختبار المشهد:

مجرى الاختبار:

لقد تقبل منير المشاركة دون أي رفض إلا أنه كان جد صامت طوال فترة الاختبار حتى في حالة سؤاله كان يرفض الإجابة ولكن هذا تغير عند قروب نهاية الحصة فأصبح يجيب عن البعض منها و رأسه منخفض. هذا لا ينفي تكيفه مع الاختبار ووجود تنسيق حركي- بصري متوافق. بالنسبة لتعبيراته اللفظية فلم يتمكن من إدراكها الجيد من حيث المفردات، التركيب، النطق و ذلك لقلتها فكانت مشاهدته تقريبا جامدة دون أي حوار سوى بعض الإيماءات ورغم ذلك نستطيع القول أنها سليمة وهو ما استنتجناه من الملاحظة السابقة. تنظيم مكان لعب هذا المبحوث شهد بعض الفوضى وأحيانا أخرى يكون منظم.

التحليل	بروتوكول الحصة 1
IF1	- أخذ منير سيارة السباق وراح يحركها في كل الاتجاهات شاغلا كل المكان المطلوب منه اللعب فيه. استغرق هذا الأخير مدة طويلة في اللعب
SM6	بالسيارة لذا أخبرته المختصة النفسية أن هناك عناصر أخرى يمكنه
OC6	أيضا اللعب بها فأخذ عربات القطار وراح يركبها ثم أوقف التماسح
RE2	على غطاء الاختبار.
RE1	- حاول منير تركيب الكرسي الطويل فلم يتمكن لذا أرجعه فيعبله
RE4	الاختبار.
RE3	- أخذ بعد ذلك الدمية رجل (H1)، القزم والعجوز (F4) ثم قرب سيارة
RE2	السباق منهم وواصل تحريك السيارة وورائها القطار.
RE4	- واصل منير استكشاف العناصر فراح يخرجها من علبة الاختبار
3RE	ويضعها فوق الغطاء دون أي بناء أو تنظيم ولكنه ركز على الإطار
RE1	المكاني للغطاء فوضع كل من: اللقلاق، رجل الثلج، قرد، خنزير ثم
OC2	أرجع القرد. أخذ كذلك الكلب بالفرو ثم أرجعه أيضا لعبلة
RE3	الاختبار، قام هذا المبحوث بإيقاف إحدى الأشجار والعصفور الملون.
RE1	- وضع الدمية فتاة (f2) أمام الدمية عجوز (F4).
RE2	- إنتقل هذا المبحوث للقطع الخشبية فراح يربتها الواحدة أمام الأخرى
RE2	على حافة الغطاء صائعا طابقين من هذه القطع (أنظر الصورة رقم 1).

SM6	- قام منير بتهديم الطابق العلوي لجعل سيارة السباق والقطار يسيران فوق الطابق السفلي.
SM2	- وأصل منير تمديد هذا الطريق ولأجل ذلك قام بإسقاط وإبعاد باقي الدمى والحيوانات التي أعاقته طريقه.
RE4	- كان هذا المبحوث يضع القطع الخشبية على كافة جوانب غطاء الإختبار وواصل تمرير القطار والسيارة فوقه.
OC5	- قام منير بتهديم هذا الطريق وتفكيك القطار لينتقل للدمى فجعل كل من الدمية الجدة (F4) والرجل (H1) يتعانقان محاولا إصاق وجههما ببعض.
RE1	- وضع الدمية رجل (H1) فوق القطار ثم نزعها لأنه لم يتمكن من تثبيته.
IF1	- إنتقل منير للأسطوانة الخشبية وراح يضع الواحدة فوق الأخرى
RE2	سألته المختصة النفسية عن ما يصنعه فأجاب: "شجرة" وقام بصنع نفس الشيء أمام هذه الشجرة (أي شجرتان).
IF1	- هدم هذا المبحوث هذه الأسطوانات وقام بدفعها لتركها تتدحرج فوق غطاء الإختبار.
IF3	- قام منير بتهديم مرة أخرى كل ما صنعه (الطريق والدمى) وراح يعيد وضع الأسطوانات اللوحية الواحدة فوق الأخرى، سألته المختصة النفسية ما الذي يصنعه؟ فلم يرد في الأول التكلم ثم قال أنه سيصنع شيء أحسن.
SM4	- أخذ سيارة السباق والقطار ووضع حولها القطع الخشبية الطويلة وكذا القطع الأسطوانية، سألته المختصة عن ما يضع فأجاب: "مرآب (garage)"
RE2	- أعاد منير ترتيب القطع الخشبية الطويلة الواحدة أمام الأخرى ممتدة من المرآب الذي صنعه، ثم راح يحرك القطار فوق هذه القطع.
RE2	- أخذ هذا المبحوث الكرسي الطويل ركبه ووضع فوقه الدمية رجل (H1) ثم أجلس أيضا الدمية العجوز (F4) على المرحاض.
RE1	- فتح بعد ذلك اللعبة البرتقالية ووضع كل ما تحتويه فوق غطاء الإختبار أخذ الفاكهة وتصرف وكأنه يعطيها للرجل (H1) وكذا

	الدمية امرأة بمنزّر أبيض (F3) كان يعطيهم حبة فاكهة وبغيرها بعدها بفاكهة أخرى وكأنه يقوم بأطعامهم. - أخذ منير الإبريق وتصرف وكأنه يصّب محتواه في الكؤوس ثم في الدلو. - مسك الأب (H1) بيده وتصرف وكأنه يعطيه الكأس ليشرب قام بنفس الشيء مع الدمية عجوز (F1). - أخذ إحدى الكؤوس وتصرف وكأنه يعطي للدمية فتاة (f2) تشرب. - جمع كل الدمى ثم تصرف وكأنه يملأ الكؤوس مرة ثانية ليعيد إعطاء الكؤوس للدمى تشرب الواحدة بعد الأخرى مع ظهور إيماءات وإصدار أصوات خافتة قام بذلك مع كل من الدمية طفل بملابس النوم زرقاء (eb)، فتاة بملابس النوم وردية (er)، الدمية أم (F3) ودمية طبيب (H3). - بعد ذلك جمع كل الفاكهة في يده وراح يعطي للأب (H1) يأكل ثم للطبيب (H3)، للدمية (er)، الدمية (F2) وأخيرا الدمية (eb) بعدما إعطاء للدمى الفاكهة كانيرميها في علبه الإختبار. - قام منير بتهديم كل العناصر السابقة وإبعادها جانبا، وراح يعيد إجلّاس الدمية رجل (H1) على الكرسي الطويل والعجوز (F4) على المرحاض بجانبه. سألته المختصة إذا كان يعرف أنه مرحاض فقال "لا" وراح يضع الدمية (H1) عليه ثم أرجعه على الكرسي الطويل ليضع أمامه سيارة السباق وكذلك القطار. - قام منير بتغيير مكان الدمية أب (H1) ليضعه في أعلى وحافة غطاء الإختبار ليضع بجانبه كل من الدمية تلميذة أو فتاة كبيرة (f1) والدمية فتاة صغيرة (f2). - أخذ الدمية طبيب (H3) لمس منزّر ثم وضعه على غطاء الإختبار. - أخذ الدمية (er) وضعها فوق المرحاض ليأخذ بعدها الدمية (H1) ويجلسها أيضا على المرحاض ثم أرجعها مكانها أي على الكرسي الطويل. أخذ عربات القطار ركبها وقام بتحريكه هو وسيارة السباق.
--	---

من خلال تحليل بروتوكول الحصّة الأولى التي استغرقت 45 دقيقة، نلاحظ تواجد لدى هذا المبحوث بعض الإجراءات الحسّية الحركية فكانت: 1 (SM4)، 1 (SM5)، 1 (SM2) و 2 (SM6). وجود هذه الإجراءات لا يدلّ على أي مرض أو باتولوجية خاصّة، رغم أنّها معروفة لدى الرضيع فالملاحظات العيادية بيّنت أنّها لا تختفي عند الطفل "العادي" خلال السنوات الموالية من عمره (بويكولت، 1993).

تحصلنا أيضاً على عدد معتبر من الإجراءات التي تترجم اللّجوء للواقع الخارجي فوجدنا: 5 (RE1)، 10 (RE2). هذه الإجراءات بالإضافة إلى وجود 3 (IF1) و 1 (IF3) تدفعنا للقول أنّ لدى هذا الطفل دفاعات ترتبط بكثرة استثمار الواقع الخارجي. كثرة هذه الأخيرة قد يشهد على الغياب النسبي للحياة الخيالية وذلك ربما يعود لسياقات إكتئابية أين الواقع الخارجي يأخذ مكان الواقع الداخلي (بويكولت، 1993). بالنسبة للإجراءات 3 (RE3)، 3 (RE4) فهي دليل على وجود دفاعات نرجسية التي برزت خاصة من رغبة هذا الطفل في الإلتقان و التحكم فيما يصنعه بدون ترك أي خلل.

وجدنا كذلك في بروتوكول هذه الحصّة إجراءات تترجم اللّجوء للموضوعية والمراقبة إلا أنّها كانت بعدد منخفض فوجدنا 2 (OC5) و 1 (OC6)، هذه الأخيرة تسمح لنا بالقول أنّ لدى هذا المبحوث أيضاً دفاعات صلبة كالعزل.

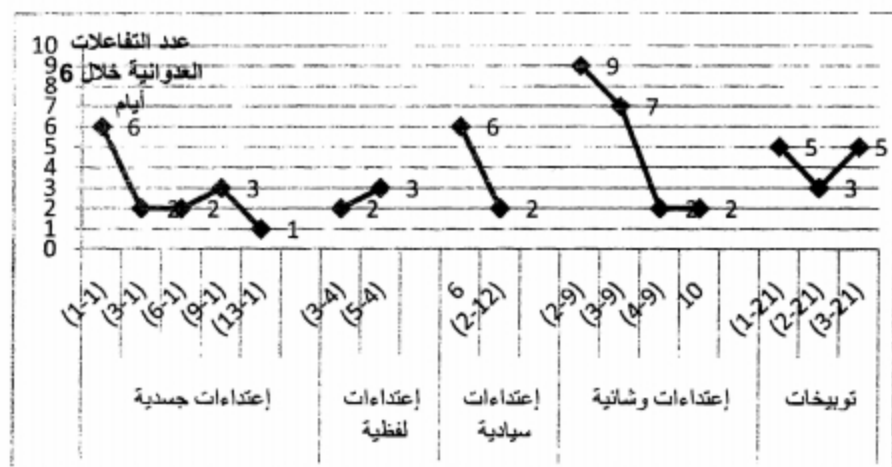
- المبحوثة الثانية: نسرين

المعطيات المجموعة عن المبحوثة الثانية:

تبلغ نسرين من العمر 4 سنوات و هي البكر لأخ أصغر منها، والداها لم يتجاوزا الأربعينات وهما في صحة جيدة. ولادة هذه المبحوثة كانت عادية وهي لم تعرف أي تأخر في نموّها النفسي - الحركي كما أنّها اكتسبت النظافة قبل سن الثالثة. قد اعتادت نسرين على هذه الروضة لأنها التحقت بها في السنة السابقة لهذه الدراسة، وهي لم تعرف بأي تفاعلات عدوانية خطيرة فعلى العكس تقول مربيته أنّها هادئة مقارنة مع الذكور.

المعطيات المتحصل عليها من شبكة التفاعلات العدوانية لبيرون:

من ملاحظة هذه المبحوثة لمدة 6 أيام ممكناً من استخراج التفاعلات العدوانية الموضّحة في الرسم البياني التالي:



الرسم البياني رقم 2:

التفاعلات العدوانية لدى المبحوثة الثانية خلال 6 أيام

من خلال الرسم البياني رقم 2 نلاحظ قلة التفاعلات العدوانية لدى هذه المبحوثة مقارنة مع التفاعلات الملاحظة عند الذكور وهو ما يفسر قلة التوبيخات. وقد تحصلنا على اعتداءات مختلفة فكانت الإعتداءات الجسدية هي البارزة في سلوكاتها إلى أن أغلبها ظهرت بهدف اللعب والمزاح ولم نشهد أي إعتداء جسدي حقيقي أو مجسد.

الإعتداءات اللفظية كانت أيضا بارزة عند نسرين وقد ميزت تفاعلاتها وتفاعلات جل الحالات الأنثوية، بعد ذلك نسجل ظهور لبعض الإعتداءات السيادية التي نعتبرها إيجابية لأنها انحصرت خاصة في المنافسة على النشاطات التربوية، نفس الشيء يمكن قوله عن الاعتداءات الوشائية فقد كانت أغلبها وشاية عن اختراق لقوانين القسم. الإعتداءات الأخرى الباقية كانت جد منخفضة مقارنة مع الإعتداءات السابقة.

المعطيات المتحصل عليها من اختبار المشهد: مجرى الاختبار:

إن النتائج الموضحة هنا هي نتائج الحصة الثانية من اختبار المشهد وذلك لأن بروتوكول الحصة الأولى لم يمكننا من التحديد الجيد للسياقات الدفاعية. تمت هذه الحصة بعد تقريبا 6 أيام من الحصة السابقة مع العلم أن هذه المبحوثة كانت متعبة نوعا ما من مرضها وهو ما سبب رغبتها في التوقف والانسحاب.

لقد جرت هذه الحصة بنفس النمط الذي جرت عليه الحصة السابقة حيث برزت فيها الإجراءات (RC) ورغم قصر مدتها قد جسدت صورة للمنزل الذي ربما ترغب فيه هذه المبحوثة. ومن ذلك برزت قدراتها التركيبية للعناصر وكذا التنظيم الجيد لمكان اللعب..

التحليل	بروتوكول الحصة 2
OC1	- أخذت نسرين مباشرة البقرة وقالت: "هذه بقرة" ثم راحت تحركها فوق غطاء الاختبار وتحرك أيضا ذيلها.
RC2	- وضعت الكرسي الخشبي والمرحاض على حافة غطاء الاختبار وكذلك الكرسي الطويل بعدما طلبت من المختصة النفسية تركيبه لها.
RC3 IF5	- وضعت نسرين الدمية أميرة (f3) فوق الكرسي الطويل، أخذت بعد ذلك الكلب وسألت المختصة عنه ولما أجابتها وضعته أمام البقرة قائلة: "إن البقرة تأكل الكلب".
RC3 OC3 OC2	- إنتقلت نسرين للقطع الخشبية وسألت المختصة قائلة: "كيف أعب بهم؟" ولما أعطتها المختصة الحرية في اللعب كما تشاء رتبت القطع المستطيلة على إستقامة واحدة لتضع فوقها شكل مثلث (صنعت شكل سقف بيت) ولما إنتهت قالت للمختصة: "أنظري ماذا صنعت" ولما سألتها المختصة: "ما هذا؟" فقالت "دار".
OC3 IF1	- جمعت نسرين كل الأسطوانات الصفراء سائلة المختصة النفسية إن كانت هناك أسطوانات أخرى تشبهها، ثم أضافت: "كيف أضعمهم؟" وأيضا "هل أضعمهم فوق الكرسي؟"، وضعت نسرين البعض منهم فوق الكرسي والبعض الآخر فوق المرحاض.

OC3 RC3	- أخذت نسرين إحدى القطع الخشبية الصغيرة وقالت: "لماذا يوجد قطع صغيرة؟" وأضافت: "من إشتراهم؟" وواصلت ترتيب القطع وتنظيمها. - أرجعت نسرين الكلب لعبة الإختبار ثم قالت: "أريد أن أذهب إلى أمي" ولما طلبت منها البقاء لأن الوقت لا زال لم ينتهي قبلت وواصلت اللعب. - أخذت نسرين باقي القطع وواصلت تنظيمها وترتيبها ثم قالت أنها لا تريد اللعب وتريد الإنضمام إلى زملائها وهنا حاولت المختصة لفت إنتباهها لوجود عناصر أخرى لم تلعب بها كالأشجار... إلخ، فأخذت المجرفة وسألت المختصة إن كانت عندها نفايات لكي تجمعها. - وضعت نسرين بعد ذلك السينية اللوحية فوق غطاء الإختبار. (أنظر الصورة رقم 2). - أخذت أيضا إحدى القطع الخشبية وراحت ترتيبها فوق القطع الخشبية بعدما سألت المختصة: "ماذا أفعل بها؟". - نهضت نسرين من مكانها إتجهت نحو الباب قائلة أنها لا تريد اللعب وأنها ترغب الالتحاق بزملائها.
------------	--

من بروتوكول الحصة الثانية التي استغرقت 20 دقيقة نلاحظ ظهور لنفس العلاقة السندية التي شهدناها في الحصة الأولى بالإضافة إلى بروز الدفاعات التالية:

دفاعات صلبة نظرا لوجود: 1 (OC1)، 1 (OC2)، و 4 (OC3) وقد تكون مرتبطة بالهوس في الترتيب والنظام الذي يمكننا تأكيد من خلال الحصة الأولى حيث تلمسنا إشمزازاته المبعوثة من عدم وجود حمام لتتمكن إحدى الدمي من الغسل يديها بعد ذهابها للمرحاض وكذلك من حب النظام الذي لاحظناه في أغلب مشاهدنا الملتقطة في الحصص الثلاث.

نجد كذلك بعض الهوامات وذلك نظرا لوجود كل من: 1 (IF1) و 1 (IF5).

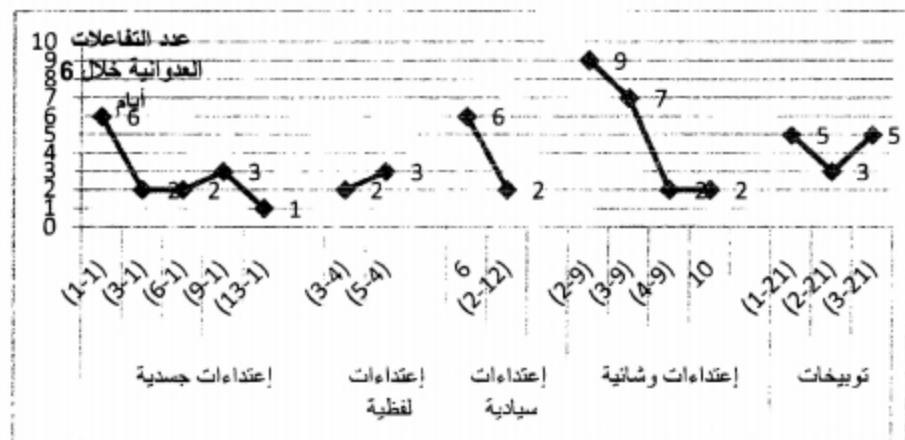
المبحوث الثالث: بديع

المعطيات المجموعة عن المبحوث الثالث:

يبلغ بديع من العمر 4 سنوات و 5 أشهر وهو الأخ الأكبر لفتات أصغر منه لا تتجاوز السنة. والدا هذا المبحوث شابان في الأربعين و هما بصحة جيدة، أمه مأكثة بالبيت وتلقت دراسات عليا هي و زوجها. هذا الطفل لم يعرف أي تأخر في نموه النفسي الحركي و قد اكتسب النظافة قبل سن الثالثة كما أنه دخل الروضة للمرة الأولى. اختيارنا لهذا المبحوث لم يكن بسبب عدوانيته وإنما إلحاحه هو وأمه على إجراء اختبار المشهد (الذي كان اختبار جد محبوب لدى الأطفال نظرا لأحتوائه على دمي وعناصر مصغرة مستعملة في الحياة اليومية) هو ما دفعنا للقيام بذلك وساهمت هذه الصدفة كثيرا في إثراء وفهم ظاهرة العدوانية أي ما نصبو إليه.

المعطيات المتحصل عليها من شبكة التفاعلات العدوانية ليرون:

من خلال ملاحظة هذا المبحوث 6 أيام تمكنا من تحديد تفاعلاته العدوانية المسجلة في الرسم البياني رقم 3.



رسم بياني رقم 3:

التفاعلات العدوانية لدى المبحوث الثالث خلال 6 أيام.

من خلال الرسم البياني رقم 3 نلاحظ تفاعلات عدوانية منخفضة لدى هذا المبحوث مقارنة مع الحالة الذكرية السابقة وكذا باقي الحالات الذكرية الأخرى التي لم نعرض نتائجها، وما ميزها هو بروز الإعتداءات اللوشائية. هذه الأخيرة كانت نوعا ما مرتفعة في تفاعلات هذا الطفل وهي حسب بيرون مؤشر جيد للقواعد العلائقية العامة للجماعة (بيرون، ديجو، ماتون، ميزاس، 1980).

نلاحظ أيضا في الرسم البياني رقم 3 بعض الإعتداءات السيادية من خلال ظهور خاصة للتفاعل رقم (6). هذا الأخير الذي يمثل الإتهام بالخطأ بين الأطفال وهو تقريبا يشبه للوشاية فكان الطفل من خلاله يتقمص الراشد ويبين لزميله خطأه.

بالإضافة للإعتداءات السابقة نجد كذلك بعض الإعتداءات اللفظية التي ارتبطت خاصة ببعض الإنتقادات المنقصة لقيمة الآخر (4-3) وكذا بعض الهتافات (4-5). بالنسبة للإعتداءات الجسدية فقد كانت أيضا منخفضة وما ميزها هو التفاعل (1-1) أما بالنسبة للتفاعلات الأخرى فقد كانت بهدف المزاح واللعب ولم تتضمن أي قصد ونية فعلية للإيذاء الجسدي للآخر.

المعطيات المتحصل عليها من اختبار المشهد:

مجرى الاختبار:

قبل هذا الطفل المشاركة دون أي تردد وبثحمس كبير حيث تكيف مع الاختبار، أين برزت قدراته الإستكشافية مع بروز أيضا لبعض العناصر التركيبية. حركته كانت متناسقة مع بصره وتعبيراته اللفظية كانت جيدة من حيث المفردات، التركيب والنطق وقد إرتبطت مع إنتاجاته حيث كان هذا المبحوث يعلق على كل أفعاله وتصرفاته.

بالنسبة لتنظيم المكان فقد كان لعبه مرتب ولم نشهد أي فوضى.

التحليل	بروتوكول الحصة 1
RC3 OC1 OC1 OC2 RE1 OC1	- بعد ما سردت المختصة النفسية على بديع التعليمات التالية: "اصنع بهذه العناصر ما يخطر ببالك وعلى هذا الغطاء" سألها: "ألعب وحدي؟ فقالت نعم.
SM6 OC1 RE1 OC1 RC3 OC1	- أخذ بديع سيارة السباق وقال عنها: "سيارة جميلة". أخذ بعد ذلك الألواح الخشبية وراح يسمى ألوانها: "هذا أخضر، هذا أحمر... إلخ" وضع بديع قطعة أمام أخرى ثم قال: "أترون شيء مصنوعاً؟ ليجيب نفسه "نعم، إنه طريق" (أنظر الصورة رقم 3).
SM6 OC1 RE1 OC1 RC3 OC1	- قام بديع بعد ذلك بتحريك سيارة السباق فوق الطريق الذي صنعه - أخذ إحدى القطع الخشبية و قال: "ما الذي تفعله بهذه؟" وأضاف وكأنه يتكلم مع نفسه: "أهذا مربع أم مستطيل؟".
RC3 RC3 OC1 RE2 OC1 OC1 RC2 RC3 RE1 RE1,RC3 OC1,IF3 OC1 OC1 OC1 RC4 RC4 IF5 OC7	- أخذ بعدها البقرة و قال: "هذه البقرة تأكل الحشيش، إنها عطشانة". - قام بديع بوضع أسطوانة خشبية فوق أخرى ليصنع عمود طويل وواصل ذلك إلى أن سقط، عاود نفس الشيء وكان في نفس الوقت يعلق على عمله. - أخذ بعد ذلك إحدى عربات القطار وقال: "هذا القطار" قام بتركيب عرباته ثم حركه فوق الطريق الذي صنعه من قبل قائلاً: "أنظروا". - أخذ مرة ثانية سيارة السباق وقال عنها: "هذه سيارة السباق" بعد ذلك أخذ الكرسي الطويل وسأل المختصة النفسية: "ما الذي تفعله بهذا؟" كانت المختصة في أثناء ذلك تسجل ما يقوم به فأجاب عن سؤاله قائلاً: "هذا نستريح عليه" ثم قام بإرجاعه لعلبة الإختبار. - أخذ بعد ذلك المرحاض وقال: "ما هذا؟" فأجابته المختصة: "إنه مرحاض". - نظر بديع للعبة البرتقالية الصغيرة وسأل المختصة عنها فطلبت منه فتحها إن أراد، ولما فتحها قال: "إنها ألعاب (les jouets)" أخذ منها دلو الغسيل ووضعه فوق المرحاض ثم أرجعه.

RC3 RE2	- أبعد بديع القطار عن الطريق الذي صنعه ليضع البقرة فوقه ثم راح يحرك أذناها وقرناها وقال: "هذه بقرة".
OC1 RC4	- أخذ بعد ذلك الشجرة وقال: "هذه الشجرة". ثم طلب من المختصة النفسية أن تعطيه كل الأشجار، أخذ منها شجرة التفاح وقال: أهذه شجرة تفاح؟ فأجابته المختصة النفسية بنعم.
RC3	- حرك بديع القطار مصدرا صوت القطار.
SM6 OC1 RE2 RE1 OC1 IF5 RC3 RE1,SM2 IF5	- أخذ بعد ذلك التمساح وقال: "آه تمساح" حاول تحريك قدميه ثم قال: "ماذا يفعل التمساح؟" ليحجب نفسه "إنه يعط" ووضع إصبعه داخل فمه ثم قال: "أي أمتني أسنانه" ثم واصل تحريك أطرافه ليوقفه في الأخير فوق غطاء الإختبار.
IF4 IF4 IF4	- أخذ بديع العصفور الملون وقال عنه: "دجاجة".
	- سقط التمساح فأعاد بديع إيقافه قائلا مرة ثانية: "هذا التمساح" ثم واصل تحريك القطار وسيارة السباق.
	- أخذ بديع إحدى القطع الخشبية الصغيرة وقال عنها: "هذه صغيرة"
	- اخذ بعد ذلك الذئب وقال: "ما هذا إنه ذئب" وأضاف: "رجله صغيرة"
	- ثم أقام صراع بينه وبين التمساح فقال: "هيا قاتلة" مصدر أصوات مختلفة رفع بديع التمساح وأسقطه على الغطاء قائلا: "لقد ضرب نفسه".
	- اخذ بديع السينية اللوحية وقال للمختصة النفسية: "ما الذي نفعله بهذه؟" فأخبرته أنها سينية لوحية، فوضعها بديع فوق غطاء الإختبار وقرب الكرسي إليها، ليضع سيارة السباق فوق الكرسي.
	- أعارت المختصة النفسية إنتباه هذا المبحوث لوجود عناصر أخرى يمكنه اللعب بها فأخذ الدمية رجل (H1) وقال "آبي (papa)" وراح يجلسه فوق الكرسي ولكن الدمية سقطت فضحك عليه.
	- أخذ بعد ذلك الخنزير وسأل المختصة النفسية: "ما هذا؟" فأجابته نفس الشيء فعله مع رجل الثلج.
	- أعاد بديع إرجاع بعض العناصر التي كانت أمامه وأحضر بعض القطع الخشبية ليضعها فوق الكرسي الواحدة فوق الأخرى.

-	أخذ بعد ذلك الدمية طفل بالمنامة الزرقاء (cb) وقال: "يرتدي ثياب النوم".
-	وضع البقرة فوق السينية اللوحية، قرب إليها قطعتان خشبيتان وقال "إنها تأكل الحشيش" مصدرا صوت الأكل: "منم، منم".
-	أخذ المجرفة (pelle) وقال: "تحفر بها" أسقط بديع البقرة بالمجرفة ثم وضعها على فم البقرة وقال: "سأحضر فمها" ثم أضاف: "سوفأخنقها" ضاغطا عليها بالمجرفة.
-	نظر بديع للمختصة النفسية وسألها إن رأت مكان الكرسي، ثم قال: "انه هناك".
-	حرك بديع القطار فوق الغطاء مصدرا صوت "توت، توت" ثم صدمه مع الدمية (H1) وقال: "آه، أبي (papa)". توقف بديع لفترة قصيرة نظرا في أنحاء الغرفة التي كان موجود فيها ثم واصل لعبه.
-	أخذ بعد ذلك الكرسي الطويل وقال: "هذا يطير" ثم يقول له: "إنزل، إنزل".
-	قام بديع بتركيب عربات القطار واضعا الدمية (H1) فوقه وقال: سوف يستريح هذا الرجل، ثم رفع الدمية (H1) قائلًا لها: "طير طير" أي كأنه يطلب منه التحليق والذهاب بعيدا.
-	رفع بديع البقرة بيده وقال: "إنها تطير" مصدر أصوات عالية ثم وضعها فوق السينية اللوحية.

من خلال بروتوكول الحصة الأولى نلاحظ أننا حصلنا على بعض الإجراءات التي تترجم اللجوء للواقع الخارجي فوجدنا: 6(RE1)، 3 (RE2). هذه الأخيرة تدل على وجود دفاعات مرتبطة بكثرة استثمار الواقع الخارجي (بويكولت، 1993).

نجد كذلك في بروتوكول هذا المبحوث دفاع الإسقاط وهو دفاع أكثر ارسانا نظرا لوجود الاجراءات الأكثر عقلنة التالية: 3(IF5)، 1(OC7) بالإضافة إلى 3 (IF4). هذه الأخيرة أي التدخلات غير المنظمة وغير المفهومة وجودها يعود لليونة غير المنظمة عند هذا الطفل وهي أيضا نتيجة الدفاعات الهوسية التي قد تكون من أجل

إنكار التبعية وتهديد فقدان الموضوع. هذا يتأكد أيضا من كثرة الإجراءات التي تترجم اللجوء للعلاقة مع العيادي (RC) حيث تحصلنا على: 1 (RC2)، 9 (RC3) و 3 (RC4) فهذه الأخيرة هي أيضا نتيجة محاولة نفي التبعية من قبل هذا المبحوث (بويكولت، 1993).

بالنسبة للإجراءات التي تترجم الموضوعية والمراقبة فإرتفاع الإجراء (OC1) يعود للنزوات المعرفية المعروفة عند الأطفال الصغار. فكأن الطفل من خلالها يطبق معارفه الجديدة بمشاركة الآخر، أما عند الطفل الكبير وهو ما نجده في هذه الحالة فالمبحوث هنا يسأل كثيرا دون إنتظار أجوبة فهو ملاً لفظي بغرض جمع المنح أو الهبات اللانهائية من طرف الآخر (المعروفة في المرحلة الفموية).

مناقشة النتائج:

من النتائج المتحصل عليها نلاحظ أن هناك توافق وتلاحم كبيرين بين نوع السلوك العدواني البارز لدى كل طفل والسياقات الدفاعية المستعملة خلال مرحلة ما قبل المدرسة، فمثلا من الحالة الذكرية الأولى أي الطفل منير قد لاحظنا بعد استعمال اختبار المشهد بروز لدفاعات نرجسية و كذا دفاعات صلبة. حاول الطفل من خلالها إظهار تمكنه وسيطرته على المادة المعروضة أمامه وهو ما ترافق مع نوع التظاهرات العدوانية حيث تفوقت الاعتداءات السيادية التي أراد من خلالها هذا المبحوث أن يؤكد أيضا سيطرته بواسطة المنافسة سواء في النشاطات التربوية أو من أجل إبقاء وضعية سيادة داخل المجموعة، كما كانت الاعتداءات الأخرى الملاحظة لدى هذا الطفل في خدمة هذه السيادة.

بالنسبة للحالة الأنثوية المختارة لتمثيل بقية البنات فأول ما لاحظناه من الشبكة هو قلة التظاهرات العدوانية مقارنة مع الذكور وذلك كان عند كافة الحالات الأنثوية، ما خص هذه الفتاة هو بروز للدفاعات النرجسية وكذا الهوس في الترتيب. هذه الأخيرة ترافقت مع اعتداءات متنوعة رغم قلتها، فتفوقت الاعتداءات اللفظية (وهذا ما وجدناه أيضا لدى كل الحالات الأنثوية) وكذا الاعتداءات الوشائية.

عند المبحوث الأخير أي الطفل بديع لاحظنا ظهور بارز لدفاع بدائي المتمثل في الإسقاط وذلك في الحصة الثلاث لاختبار المشهد بالإضافة إلى بعض الاستثمار للواقع الخارجي. خلافا لباقي الحالات الذكرية نلاحظ من شبكة بيرو قلة السلوكات

العدوانية وهو ما أرجعناه إلى الدفاع البدائي السائد، حيث أن هذا الطفل كان يبدو كالملاك خلال الست أيام من الملاحظة ونذكر أن ما ميز سلوكه هو الوشاية. هذا المبحوث كان مفتاح الحل لاشكائيتنا حيث سمح لنا بالقول أن الدفاع البدائي الأسقاطي منع ظهور العدوانية لدى هذا الطفل وكأنه من خلاله يعتبر نفسه موضوع جيد والآخر موضوع سيئ وبالتالي تكثر الوشاية عنه. يقول وينيكوت عن هذا المبحوث أنه منطوي بطريقة باتولوجية فما هو جيد حصره في الداخل وما هو سيء أسقطه و هو يعيش في عالمه الداخلي. هنا أيضا يمكننا الإشارة إلى الذات الكاذبة فالفردينمو إذن كإشباع للقشور بدلا من اتساع لنواتهوتكون ذاته كاتساع للمحيط المنتشر. الشفاء من هذه الإنطوائية المرضية يتطلب أن يرجع الطفل من جديد إلى ما يعتبره العالم الخارجي المملوء بالمضطهدين وفي هذه الحالة يكون الطفل دائما عدوانيا فنتحصل في هذه المرحلة من الشفاء على منبع هام من السلوكات العدوانية وهو ما يؤكد أهمية هذه الظاهرة في هذه الفترة العمرية. إذا لم يفهم الطفل جيدا خلال هجومه ذو الأساس الدفاعي من قبل الشخص الذي يهتم به يقول وينيكوت أنه سيسقط ببساطة ومجددا في حالة الإنطوائية (وينيكوت، 1969). هذا يتوافق أيضا مع أصحاب النظرية السيكيكوسوماتية حيث تعتبر روزين دبراي أن الانقياد التام والمبكر من النوع "الطفل المؤدب" خلال هذا السن يدفع إلى القلق والانشغال عن مستقبل هذا الأخير، على العكس فإن كل من الارتجاج، عدم التجانس والانقياد هي من مؤشرات الصحة في هذه الفترة العمرية (كريسلر، 1993).

وبالتالي ومن خلال كل ما سبق نستخلص إذن توافق كبير بين السياقات الدفاعية لدى الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة ونوع سلوكه العدواني حيث يكون هذا الأخير في خدمة الميكانيزمات الدفاعية وخصص لممارسة قد تمكن الطفل من الوصول إلى المواضيع الخارجية. فالنمو النفسي للطفل خلال مرحلة ما قبل المدرسة يشهد على التحام وتداخل بين نزوات الحياة و النزوات العدوانية والسلوكات العدوانية خلال هذه المرحلة هي سلوكات ايجابية لأنها تساهم في ارضان الوضعيات الاكتئابية للطفل بفضل الميكانيزمات الدفاعية الثانوية تكيفية.

وأخيرا نؤكد على توافق هذه النتائج مع هذه المرحلة فقط من العمر أي مرحلة ما قبل المدرسة لأنه يبدو أن في المرحلة الموالية أي فترة الكمون ظهور السياقات الدفاعية البدائية لا يؤثر على الوظائف التكيفية ولا على النتائج الدراسية للطفل

خاصة لدى الذكور أين تبرز التظاهرات العدوانية وهو موضوع دراسة أخرى نحن بصدد تجسيدها على الطفل الجزائري في مرحلة الكمون.

المراجع:

1. Boekholt M, (1993) : *Epreuves thématiques en clinique infantile : Approche psychanalytique*, Paris, Dunod.
2. Freud A, (1969) : *Agressivité et développement affectif*, in: *Initiation à la psychanalyse pour éducateurs*, Privat.
3. Mises R. Dursztejn C. Botbol M. Coincon Y. Durand B : *Une nouvelle version de la classification française des troubles mentaux de l'enfant et l'adolescent : la CFTMEA R2012*, correspondance et transcodages avec l'ICD10, revue neuropsychiatrie enfance et adolescence 60(2012), p 414-418.
4. Perron R. Desjeux D. Mathon T. Mises R, (1980) *Les interactions agressives chez l'enfant. Etude par observation directe dans différents groupes de vie*, Revue Enfance, n° 3, p157-178.
5. Storr A, (1969) : *L'agressivité nécessaire*, (traduction de l'anglais par Simone Roux), Paris, Robert Laffont.
6. Von Staab G. (1973): *Le scéno-test*, Editions Hogrefe France.

Winnicott D, W (1969), *De la pédiatrie à la psychanalyse*, Paris, Payot.